دلالة اللفظ (أدنى) في السياق القرآني

م.د. نذير محمد أمين*

المستخلص

يؤدي السياق اللغوي دورًا مميَّزًا في تحديد دلالة اللفظ الوارد فيه من بين الدلالات الأخرى المحتملة؛ إذ هو يبين المجمل ويعيّن المحتمل ، ويقطع بعدم احتمال غير المراد ويخصص العام ويقيّد المطلق ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ومن الألفاظ القرآنية التي تحتمل دلالات متعددة لفظ (أدنى) فقد ورد في مواضع عدة في القرآن الكريم ، بلغ عددها (١٢) موضعاً وله دلالات مختلفة باختلاف السياق الذي ورد فيه وقد جاء هذا البحث لتحديد دلالة هذا اللفظ مستضيئا بالسياق الذي ورد فيه ، فالسياق يرجح أحد الوجهين أو الوجوه المحتملة للفظ.

Abstract

The linguistic context plays an important role in determining the meaning of the word contained in it among other possible meanings. As it clarifies the general, specifies the probable, categorizes the improbability of what is not intended, singles out the general, and restricts the absolute, and it is one of the greatest evidences indicating the intent of the speaker. Different connotations according to different context in which “Adna” meaning “lower” was mentioned (12) times. This research came to determine the significance of this term, illuminated by the context in which it was mentioned. Thus, the context favors one of the two sides or different faces of the word.

* جامعة الموصل/ كلية الآداب/قسم اللغة العربية.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن ولم يجعل له عوجاً والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وهدى، وعلى آله وصحبه ومن بهديه اهتدى ، وبعدُ

فعند قراءة القرآن أجد ألفاظاً متشابهة في حروفها ولكنها تحمل دلالات ومعاني مختلفة في السياق الذي ترد فيه، ومن هذه الألفاظ اللفظ (أدنى) ، فقد ورد في مواضع عدة في القرآن الكريم ، وله دلالات مختلفة باختلاف السياق الذي ورد فيه ، وقد وقفتُ في هذا البحث عند تلك المواضع ، وبينتُ الدلالات التي أفادها هذا اللفظ مستضيئاً بالسياق القرآني لتحديد المراد من بين المعاني التي يحملها هذا اللفظ ، وقد بذلتُ جهدي واجتهدتُ مستعيناً بالله الذي لا حولَ ولا قوة إلا به وعليه التكلان ، فإن كنتُ قد وُفقتُ فبها ونعمتْ ، وإن كانت الأخرى فحسبي أنَّي اجتهدتُ وقد وعد الله المجتهدَ أجراً أو أجرينِ ....والحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعدُ:

فلقد ورد لفظ (أدنى) موزون (أفعل) في القرآن الكريم (١٢) مرةً وهو مشتق من (دنا) قال ابن فارس ((الدال والنون والحرف المعتل أصل واحد يقاس بعضه على بعض وهو المقاربة ومن ذلك الدني وهو القريب ، من (دنا يدنو))[١] ، ويقال : دنا إذا عاش عيشاً ضيقاً بعد سعة والأدنى الأسفل[٢] و(الدنو) هو القرب بالذات أو بالحكم ، ويستعمل في الزمان والمكان والمنزلة وربما يُعبّر بـ(الأدنى) تارة عن الأصغر فيقابل بالأكبر نحو قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) {المجادلة -٧} وتارة عن (الأرذل) فيقابل بـ(الخير) نحو قوله تعالى : (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) {البقرة: ٦١}[٣]، فالذي يرجح هذه المعاني هو السياق ، فالمعنى الاساس هو (القرب) وبوروده في السياقات المختلفة تختلف دلالته ، يقول ابن القيم : ((السياق يرشدُ إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن

(١) مقاييس اللغة :٢/ ٣٠٣

(٢) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور :١٤/٢٧٣

(٣) ينظر المفردات في غريب الفاظ القرآن ، الراغب الاصفهاني:٣١٩

أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته ، فانظر إلى قوله تعالى : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) {الدخان: ٤٩} كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير))[١] ، ففي هذا النص دليل على أهمية السياق في تعيين المراد من اللفظ المُحتمِل أكثر من وجه في أصل وضعه أو استعماله ، وفي القطع بعدم احتمال غير المراد ، ونعني بـ(السياق) ههنا السياق اللغوي وسياق المقام من أنواع السياق ، فالسياق يرجح أحد الوجهين أو الوجوه المحتملة للكلام (مركباً أو مفرداً) واحتمال اللفظ أكثر من معنى شائع في القرآن الكريم ، لذا لا غنى عن السياق في تحديد المراد لفهم المعنى العام ، وإزالة الغموض والوهم والقطع بعدم احتمال غير المراد وتعيين دلالة اللفظ[٢]، وقد جاء في كتاب (الوجوه والنظائر) للعسكري : لفظ (أدنى) في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

أحدها : بمعنى (أجدر) ، قال تعالى: (وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا) {البقرة: ٢٨٢} ، ومثله قوله : (ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) {النساء: ٣}

الثاني: بمعنى (أقرب) ومنه قوله تعالى: (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) {السجدة: ٢١} بمعنى : الجوع والضر والخوف في الدنيا، (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ){السجدة: ٢١} في الآخرة وهي النار هكذا قالوا ، وهو عندنا بمعنى (أيسر) ؛ لأنه جعله مع (أكبر) وقوله تعالى: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) {النجم: ٩} أي أقرب لا غير.

الثالث : بمعنى (أقل) قال تعالى : (وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ) {المجادلة: ٧} ، أي : أقل.

الرابع : بمعنى (الأدون) قال تعالى : (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) {البقرة: ٦١} أي (الأرفع) وهو المنُّ والسلوى بالأوضع وهو ما طلبوه من النبات[٣].

فهذه الوجوه تتبادر إلى الذهن في كل موضع ورد فيه لفظ (أدنى) ، ولكن بالنظر في العناصر اللغوية المجاورة للفظ والسياق العام للآية يمكن تحديد أحد الوجوه المحتملة ، والقطع بعدم احتمال غير المراد من اللفظ (أدنى) وهذا وسواه ما سيرد في صفحات البحث الذي هو تطبيق عملي لدور السياق في تحديد دلالة لفظ قرآني يحتمل وجوهاً– معاني بعضها غير مراد .

المبحث الأوَّل: دلالة اللفظ (أدنى) على (أقرب) :

•الموضع الأول قوله تعالى : (ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا) {البقرة – ٢٨٢} ، ورد هذا التركيب جزءاً من آية المداينة في سورة البقرة ، فعند ذكر الأمر بكتابة الدين والنهي عن امتناع من يحسن الكتابة عن كتابة الدين ، وأمره بالكتابة بعد نهيه عن الامتناع عنها

(١) بدائع الفوائد :٨١٥/٤

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سلوى محمد العوا :٦٤–٦٥

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر :٤٧

وأمره بالتقوى ، والأمر باستشهاد الشهداء على ذلك ونهيهم عن الامتناع عن الشهادة والنهي عن السآمة من كتابة الدين جاء قوله : (ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا) [١] فلفظ (ذلكم) إشارة إلى ما أمر به من (الكَتْبِ)[٢] ، وقيل : إشارة إلى ما تقدم من الأمر بالكتب والاستشهاد لأهل الرضا[٣] ، وهو مبتدأ وما بعده أخبارٌ عنه[٤] ، وقد وردت الأخبار الثلاثة بصيغة (أفعل) التفضيل ، الأول (أقسط) والثاني (أقوم) وهما مصوغان من (أقسَطَ) و (أقام) على غير القياس[٥] ، ومعنى: (ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) أعدل عند الله ، ومعنى: (وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) أقوم وأبلغ في الاستقامة التي هي ضدُّ الاعوجاج ، وإنما كان هذا (أعدل) لأنه إذا كان مكتوباً كان إلى اليقين والصدق أقرب وعن الجهل والكذب أبعد ، وإنما كانت (الكتابة) (أقوم للشهادة) لأنها سبب للحفظ والتذكر، فكانت أقرب إلى الاستقامة ، فالفائدة الأولى (ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) تتعلق بتحصيل مرضاة الله ، والفائدة الثانية (وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) تتعلق بتحصيل مصلحة الدنيا ، وقُدِّمتْ الأولى على الثانية إشعاراً بأن الدين يجب تقديمه على الدنيا[٦] ، أمّا الخبر الثالث فهو (وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا) وهو (أفعل) من (دنا) أُريد به التفضيل ، حُذف متعلقه أعني (حرف الجر المتعلق به) والمفضل عليه ، فاتسعت دلالته واحتملت وجوهاً بحسب تقدير حرف الجر المحذوف، ((والمفضل عليه محذوف ، وحسُنَ حذفه كونه (أفعل) الذي للتفضيل وقع خبراً للمبتدأ وتقديره : الكَتْبُ أقسط وأقوم وأدنى لكذا من عدم الكتب، وقُدِّر (أدنى لأن لا ترتابوا) أو (أدنى إلى ألّا ترتابوا) أو (أدنى من أن لا ترتابوا)[٧] ، والمعنى على تقدير (اللام) : (أجدر لأن لا ترتابوا) فيُوقف على (أجدر) ثم يُستأنف لبيان علة ما تقدم[٨] ، وعلى تقدير (إلى) يكون المعنى : (أقرب إلى عدم ارتيابكم) في جنس الدَيْن وقدره وأصله[٩] ، وقال ابن عادل في تقدير (من) : ((وفي تقديرهم (من) نظرٌ إذ المعنى لا يساعد عليه))[١٠] ، ونرى أن المعنى يساعد عليه ويكون المعنى (أقرب من عدم الريب) إذ الأصل (قرب) يتعدى بـ(من) ، قال تعالى :

(١) ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن ،الايجي:٢١٠/١
(٢) ينظر : ارشاد العقل السليم ، أبوالسعود :٢٧١/١
(٣) ينظر : التفسير الكبير ، الرازي :٩٧/٧
(٤) ينظر : اعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين الدرويش :٤٣٨/١
(٥) ينظر : أنوار التنزيل ، البيضاوي :١٦٤/١
(٦) ينظر : التفسير الكبير :٩٧/٧
(٧) ينظر : البحر المحيط ، ابوحيان الاندلسي:٧٣٨/٢
(٨) ينظر : بصائر ذوي التمييز ، الفيروز آبادي، ١٧٩/٢
(٩) ينظر : ارشاد العقل السليم : ٢٧١/١
(١٠) اللباب في علوم الكتاب في علوم الكتاب :٥٠٠/٤

((إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) {الاعراف –٥٦} ، ونلمح في التعبير بـ(أدنى ألّا ترتابوا) دون (أنفى للريبة) أنه رغم هذه الضمانات كلها إلا أن نفس الإنسان تظل في قلق وتوجس فلا ينتفي الريب انتفاء كاملاً ، ولا ينعدم فيكون ذلك (أقرب من عدم الريب) ، وعلى الرغم من أن الارتياب أمر قلبي إلّا أنه استعمل معه لفظ (أدنى) وهو مخصوص بالقرب المكاني ، وذلك لإخراج المعنوي (الارتياب) في صورة المحسوس ؛ لأنَّ هذا المعنوي (الارتياب) يترك آثاره على الحواس الظاهرة[١].

• الموضع الثاني قوله تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) {النساء –٣} ،جاءت هذه الآية الكريمة إرشاداً للمؤمنين إذا خافوا أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى فتحرجوا من ولايتهم ، وكان الرجل منهم ربّما كان تحته العشر من الأزواج وأكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهنّ ، فقيل لهم :إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات[٢]، وروي عن ابن عباس أنّ العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى ولا تتحرج في العدل بين النساء ، فقد كانوا يتزوجون العشر وأكثر فنزلت هذه الآية إرشاداً لهم ، كأنه قيل لهم : (كما تخافون ألّا تقسطوا في اليتامى) فكذلك تحرجوا في النساء و(انكحوا) على هذا الحد الذي يبعد الجور[٣] ، ثم ختمت الآية بقوله : (ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) وهي جملة اسمية ، المبتدأ فيها اسم إشارة (ذلك) ، والخبر قوله (أدنى ألّا تعولوا) والإشارة إلى الحكم المتقدم وهو قوله : (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ) إلى قوله: (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) باعتبار ما استعمل عليه من التنويع بحسب العدل ، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الحكم المتضمن قوله : (فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) ، أي ذلك أسلم من الجور[٤]، أي ((نكاح الواحدة والقناعة بالإماء أدنى مرتبة الزواج على الذين يخافون

(أَلَّا تَعُولُوا) أي من كثرة العيال))[٥]، ولفظ (أدنى) بزنة (أفعل) التفضيل مشتق من الفعل (دنا) بمعنى (قرب) ، والمعنى :أقرب إلى عدم العول ، والفعل (قرب) يتعدى بـ(من) و(إلى) وقد حُذف حرف الجر وبقي مدخوله (أَلَّا تَعُولُوا) وهو المصدر المؤول من (أن) والفعل بعدها ، ويجوز في محله النصب والجر وفي ذلك الحرف المحذوف ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون (إلى) والمعنى :

(١) ينظر : البلاغة العالية في آية المداينة ، د.سعيد جمعة :٩٧

(٢) ينظر: التفسير الكبير :٩/٤٨٥

(٣) ينظر : المحرر الوجيز ، ابن عطية:٢/٧

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ، ابن عاشور: ٤/٢٢٧– ٢٢٨

(٥) الفواتح الالهية والمفاتح الغيبية ، الشيخ فتحي علوان :١/١٤٢

ذلك أقرب إلى عدم العول[١] ، والثاني : أن يكون المحذوف حرف (اللام) والتقدير (ذلك أقرب من أن لا تعولوا)[٢] ؛ لأن (أفعل) التفضيل يجري مجرى فعله فيتعدى بالحرف الذي يتعدى به فعله و(دنا) يتعدى بـ(إلى)و (اللام) و(من)[٣]، والذي رجح كون (أدنى) بمعنى (أقرب) وروده في سياق إرشاد ونصح المؤمنين إن خافوا عدم العدل بين الزوجات فأرشدهم الشارع إلى التزوج بواحدة ثم أخبر عن ذلك الحكم بأنه أقرب إلى/ لـ /من عدم العول المفضي إلى عدم العدل ؛ لأن التعدد يعرِّض المكلف إلى الجور وإن بذل جهده في العدل ، إذ للنفس رغبات وغفلات[٤].

•الموضع الثالث قوله تعالى : (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) {المائدة –١٠٨} ، إن القارئ في تفسير هذه الآية وسبب نزولها يجد كلاماً طويلاً حتى أن مكياً ابن أبي طالب القيسي قال : هذه الآية من أشكل ما في القرآن في إعرابها ومعناها وتفسيرها وأحكامها[٥] ، والذي نراه مناسباً ذكره هنا من سبب نزولها هو أنها نزلت ((في الرجل يموت في السفر فيحضره بعض ورثته ويغيب بعضهم فيتهمُ الغائب منهم الحاضرَ))[٦]، فأنزل الله الحكم بذلك في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آَخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآَثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) {الآيتان ١٠٦–١٠٧ من سورة المائدة} ، ثم أشار بقوله : (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) إلى الحكم الذي تقدم في الآيتين السابقتين ((أي ذلك الذي حكمنا به من ردِّ اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها ، و(أدنى) معناه : أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت (أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) أي أقرب أن يخافوا ردّ اليمين بعد يمينهم على المدّعى فيحلفوا على

(١) ينظر : المحرر الوجيز:٨/٢

(٢) ينظر : اللباب في علوم الكتاب :٦ /١٨٦

(٣) ينظر : الكشاف ، الزمخشري :٤٩٩/١ والدر المصون ، السمين الحلبي :٥٦٧/٣

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٢٨/٤

(٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن :٢٤٣/١ ، والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٣٤٦/٦

(٦) الناسخ والمنسوخ ، القاسم بن سلام :١٦٣

خيانتهم وكذبهم ، فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم))[١] ، والذي رجح كون (أدنى) بمعنى الأقرب المصدر المؤول بعده في قوله (أن يأتوا بالشهادة على وجهها) أي أقرب لنفوسهم أن تتحرى العدالة في إقامة الشهادة[٢] ، والإتيان بالشهادة على وجهها مطلب سامٍ ربما لا يصل إليه كل واحد ولا يعتقد ذوو الميت بالشاهدين أنهما أتيا به (أعني الإتيان بالشهادة على وجهها) ولا سيما إن كانا من أهل الكتاب ، فمع كل هذه الإجراءات من الحبس بعد الصلاة والقسم وخوف ردّه وخوف الافتضاح أمام الناس يبقى احتمال الشك في الإتيان بالشهادة على وجهها قائماً ، فكان ذلك (أقرب إلى الإتيان بالشهادة على وجهها) من غيره ، و(القرب) هنا قرب مجازي مراد به قرب العلم وهو الظن ، بمعنى أقوى إلى الظن بالصدق[٣].

• الموضع الرابع في قوله تعالى : (غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) {الروم٢ –٣} ، نزلت هذه الآية الكريمة بعد ظهور الفرس على الروم في معركة دارت بينهم ، فأخبر القرآن عن هذه المعركة وعن مكان وقوعها ، فقال: (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) ، وقد عيّن المفسرون المعنى المراد بلفظ (أدنى) إذ الكلمة خارج السياق تحتمل أكثر من معنى ، فقالوا مستضيئين بالسياق الذي وردت فيه ((ومعنى قوله (أدنى) أقرب ، وهو (أفعل) من الدنو والقرب ، وإنما معناه في أدنى الأرض من فارس فترك ذكر (فارس) استغناء بدلالة ما ظهر من قوله (في أدنى الأرض) عليه منه[٤] ، وقد حُذِف متعلق (أدنى) فلم يُذكر هل هو (أدنى الأرض) إلى الروم أم هو (أدنى الأرض) إلى أرض فارس؟ وكلاهما يحتمله اللفظ ، كما يحتمل أن يكون المراد بـ(أدنى الأرض) أخفضها إذ إن الدراسات الحديثة تؤكد أن منطقة حوض البحر الميت فضلاً عن كونها أقرب الأراضي التي كان الروم يحتلونها إلى الجزيرة العربية – هي أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً[٥]، فجيء بلفظ (أدنى) بهذه الصورة مضافاً إلى لفظ (الأرض) جعله يحتمل معنيين ، الأول : (أقرب) ، والثاني أن يكون بمعنى (أخفض) ، وكلاهما صحيح ومطابق للواقع.

•الموضع الخامس قوله تعالى :(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) {السجدة –٢١} ، وردت هذه الآية في سياق التهديد والوعيد للكافرين ، فهي إخبار بأن لهم عذاباً لا يبلغ مبلغ عذاب النار الموعودين به في الآخرة ، وقد جاء لفظ (العذاب) موصوفاً

(١) اللباب في علوم الكتاب : ٥٨٧/٧
(٢) ينظر : بصائر ذوي التمييز :٦٠٨/٢
(٣) ينظر : التحريروالتنوير:٩٢/٧
(٤) جامع البيان ، الطبري :٢٠ /٧٤
(٥) ينظر : موقع طريق الاسلام islamway.net

بـ(الأدنى) وهذا اللفظ – كما لا يخفى– محتمل معنيين ، الأول : (الأصغر) ، والثاني : (الأقرب)[1] ، وقد قوبل بـ(العذاب الأكبر) ولم يقابل بـ(العذاب الأقصى) ؛ لأن عذاب الدنيا (العذاب الأدنى) يحصل فيه أمران : الأول أنه قريب ، والثاني : أنه قليل صغير ، ويحصل في عذاب الآخرة (العذاب الأكبر) أمران : الأول :أنه بعيد ، والآخر : أنه عظيم كثير ، لكنّ القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف به ، إذ العذاب العاجل (القريب) قد يحترز منه بعض الناس أكثر مما يحترزون من العذاب الشديد إذا كان مؤجلاً ، وكذلك الثواب ، لذلك خوّف به في قوله (العذاب الأدنى) ، أمّا عذاب الآخرة فقد عبّر عنه بـ(العذاب الأكبر) ؛لأن الذي يصلح للتخويف به هو العذاب العظيم الكبير لا البعيد ، فقد اختار الله تعالى في العذابين الوصف الذي هو أصلح للتخويف من الوصفين الآخرين[2] ، (والعذاب الأدنى) يتضمن الأصغر لأنه منقضٍ بموت المُعذَّبين ، والتخويف يصلح بما هو قريب في الدنيا قبل العذاب الأكبر ، وهو الأبعد في الآخرة[3]، ويبدو أنّ كلا المعنيين مراد أعني : (الأقرب والأصغر) و(الأبعد والأكبر) ، وهذا من بلاغة التعبير القرآني في إيجاز اللفظ وسعة المعنى بإيراد اللفظ الواحد الدال على المعاني المتعددة ، لذلك تعددت أقوال المفسرين فيه ، فقد رُوِيَ عن ابن عباس (رضي الله عنه) ((أنه قال : هو مصائب الدنيا وأسقامها ، وعنه أنه الحدود ، وقيل الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين ، وقال ابن مسعود : وهو القتل بالسيف يوم بدر))[4] ، ومع هذا وُصِف بـ(الأدنى) فكيف بالأكبر؟! ، وهذا فيه من التخويف والترهيب ما فيه لذلك خُتِمت الآية بقوله (لعلهم يرجعون) ، أي رجاء رجوعهم إلى الله وطريقه القويم .

الموضع السادس قوله تعالى :(تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا) {الأحزاب– ٥١} ، لقد نزلت هذه الآية مخصصة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الخصائص في النكاح وهي التوسعة عليه (صلى الله عليه وسلم) في ترك القسم بين زوجاته فلا حرج في تقديم من يشاء وتأخير من شاء من زوجاته الكريمات[٥] ، (ذلك) مبتدأ والخبر (أدنى) ، (أن) حرف مصدر ونصب والمصدر المؤول (أن تقرَّ) في محل

(١) ينظر : تفسير ابن فورك :٤٧١/١

(٢) ينظر : التفسير الكبير :٢٥/ ١٤٩

(٣) ينظر : البحر المحيط :١٩٨/٧

(٤) لباب التاويل في معاني التنزيل ، الخازن :٢٢٦/٥

(٥) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان :٨٢٠/٢

جرٍّ بـ(إلى) مقدراً متعلقٌ بـ(أدنى) ، أي : أدنى إلى أن تقرَّ[١] ، والإشارة بـ(ذلك) إلى التخيير والتفويض ، و(أدنى) أقرب إلى أن تقرَّ أعينهن ويرضين[٢] ، والمعنى : أنه إذا لم يجب عليك القسم وأنت لا تترك القسم تقرّ أعينهن لتسويتك بينهن ولا يحزنّ بخلاف ما لو وجب عليك ذلك ، فليلة تكون عند إحداهنّ تقول ماجاءني لهوى قلبه إنما جاءني لأمر الله وإيجابه عليه ، ويرضين بما آتيتهن من الإرجاء والإيواء، إذ ليس لهن عليك شيء حتى لا يرضين[٣] ، فوقوع لفظ (أدنى) خبراً عن اسم الإشارة (ذلك) المشار به إلى ما تقدم من التفويض المستفاد من قوله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ...) ومن الابتغاء المتضمن له فعل (ابتغيت) رجّح كونه بمعنى (أقرب) إذ الأحكام المشار إليها يراد منها حصول قرة العين وعدم الحزن والرضا بما أوتي ، فذلك أقرب إلى حصول المراد من غيره –إن وُجِدَ– وقد فسّر الفراء –رحمه الله– لفظ (أدنى) بـ(أحرى) فقال :

((... كان أحرى أن تطيب أنفسهن ولا يحزنّ))[٤] ، كأنه نتيجة حتمية لما تقدم ، ولا ينبغي أن يحصل غيره من عدم قرار العين وعدم الرضا.

الموضع السابع قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) {الأحزاب–٥٩} ، في الآية الكريمة خطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأمر له بأن يقولَ لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين بأن لا يتشبهن بالإماء بلباسهن إذا هنّ خرجن من بيوتهنّ لحاجتهنّ فكشفن شعورهنّ ووجوههنّ ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهنّ لئلا يعرض لهن فاسقٌ إذا علم أنهنّ حرائر بأذى من قولٍ[٥] ،والإدناء هو التقريب ، وهو كناية عن اللبس والوضع ، أي يضعن عليهن جلابيبهن ، فقابل بـ(تدني) (تلبس) والإدناء هنا (اللبس) ، ثم بيّن ما يتحصل من فائدة إدناء الجلابيب ، فقال : (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ) ، ولفظ (ذَلِكَ) اسم اشارة مبني في محل رفع مبتدأ ، وقوله : (أَدْنَى) خبره ، والإشارة بـ(ذلك) إلى الإدناء المفهوم من (يدنين) أي ذلك اللباس أقرب إلى أن يعرف أنهنّ حرائر بشعار الحرائر فيجتنب الرجال إيذاءهن فيسلموا ويسلمنّ[٦] ، والذي رجّح كون (أدنى) بمعنى (أقرب) كون ما بعده (أن يعرفن) يراد به أن يعرفن على الجملة بالفرق بينهنّ وبين الإماء حتى لا يختلطنَ ، فإذا عُرِفنَ لم يقابلنَ بأذى ، وليس المعنى أن تُعرفَ المرأة معرفة تامة

(١) ينظر : الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي: ١٧٩/٢٢
(٢) ينظر : فتح البيان في مقاصد القرآن ، القنوجي: ١٢٠/١١
(٣) ينظر : التفسير الكبير: ١٧٧/٢٥
(٤) معاني القرآن :٣٤٦/٢
(٥) ينظر : جامع البيان :٣٢٤/٢
(٦) ينظر : التحرير والتنوير:١٠٧/٢٢

حتى يُعلمَ من هي[١] ، وإنما لتَقْرُبَ معرفتهن وتمييزهنّ عن غيرهنّ وإن كان هناك أمور أخرى تُعرّفهن وتميزهنّ عن غيرهنّ ، وفسّر الزمخشري قوله (أَدْنَى) بقوله : ((أي أولى وأجدر بأنْ يُعرفنَ فلا يُتعرض لهن ولا يلقينَ ما يكرهنَ))[٢]، والمعنى أن هذه العلامة (إدناء الجلابيب) أولى وأجدر من غيرها من العلامات المميزات للحرائر عن الإماء فكان التوجيه الإلهي به ، وإن كان ثمة علامات أخر لتمييز الحرائر عن الإماء ، ولكن (إدناء الجلابيب) هو أقرب وأحرى وأجدر كما أخبر القرآن بذلك.

الموضع الثامن قوله تعالى : (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) {النجم- ٩} ، تصف هذه الآية مشهداً من مشاهد حادثة الإسراء والمعراج ، والناظر في عناصر هذا التركيب يجد أنها دالة على القرب ، ((الدنو (القرب) وإذ قد كان فعل الدنو قد عُطِفَ بـ(ثم) على (فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) على أنه دنا إلى العالم الأرضي ، أي أخذ في الدنو بعد أن تلقى ما يبلغه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتدلى : انخفض من علو قليلاً ، أي ينزل من طبقات إلى ما تحتها كما يتدلى الشيء المعلق في الهواء ، بحيث لو رآه الرائي يحسبه متدلياً وهو ينزل من السماء غير منقضٍ))[٣] ، وكذلك قوله : (قَابَ قَوْسَيْنِ) معناه أنه كان على مقدار قوسين أو أقلّ[٤] ، قال الآلوسي : ((المراد شدة القرب))[٥] ، قوله : (أو أدنى) في حرف العطف وجهان ، الأول: أن تكون للإضراب[٦] ، والمعنى : فكان قاب قوسين بل أدنى[٧] ، الثاني : أن تكون للشك[٨] ، والمعنى : فكان بأحد هذين المقدارين في رأي الرائي ، أي لتقارب ما بينهما يشكُّ الرائي في مقدار ما بينهما هل هو (قاب قوسين) أم (أدنى)[٩] والغرض من هذا التركيب نفي ما زاد عليه أي أنّ ما بينهما لا يزيد عن (قاب قوسين) وربما يقلّ عن ذلك[١٠] ، وفيه تمثيل ملكة الاتصال وتحقق استماعه (صلى الله عليه وسلم) لما أُوحي اليه بنفي البعد الملبس[١١] ، وفيه إشارة إلى

(١) ينظر : المحرر الوجيز: ٤٦٢/٤
(٢) الكشاف :٣/ ٥٦٩
(٣) ينظر : التحرير والتنوير:٥٦/٢٧
(٤) ينظر : صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني:٢٥٥/٣
(٥) روح المعاني: ٤٨/١٤
(٦) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي :٢٢٩
(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن:٩٠/١٧
(٨) ينظر : الجنى الداني :٢٢٨
(٩) ينظر : الدر المصون :٨٧/١٠
(١٠) ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن:٢٠٩/٤
(١١) ينظر : ارشاد العقل السليم :١٥٦/٨

أن تقدير مسافة ما بينهما لا مبالغة فيه[١] ، ويتضح لنا من الدلالات العامة للتركيب أن المراد بلفظ (أدنى) إما (أقرب) فيكون المعنى (فكان قاب قوسين أو أقرب من ذلك) وإما (أقل) ويكون المعنى (فكان قاب قوسين أو أقلّ من ذلك) رجح ذلك أن ما تقدمه من قوله (دنا فتدلى) فيه معنى القرب ، وكذلك قوله (فكان قاب قوسين) أيضاً كناية عن القرب ، فجاء لفظ (أدنى)مؤكداً لمعنى القرب بأن جاء بصيغة (أفعل) التفضيل بمعنى (أقرب) أو(أقل) من المسافة التي تستعمل عند العرب للدلالة على القرب وهي قوله (قاب قوسين) ، فالعرب خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم ، فقيل لهم في هذا ما يقال للذي تحزر ، فالمعنى : فكان على ما تقدرونه أنتم قدر قاب قوسين أو أقل من ذلك[٢] .

المبحث الثاني : دلالة اللفظ (أدنى) على (أدون- أخس) :

•الموضع الأول قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) {البقرة–٦١} ،ورد لفظ (أدنى) في هذه الآية خبراً للجملة الاسمية الواقعة صلة للاسم موصول (الذي) وهو في محل نصب مفعول للفعل المضارع (تستبدلون) ، و(الاستبدال) جعل الشيء مكان الآخر[٣]، فالفعل اقتضى شيئين يُوضع أحدهما مكان الآخر ، أو يُؤخذ أحدهما ويُترك الآخر، فالمأخوذ هو (الذي هو أدنى) ، والمتروك (الذي هو خير) بدليل دخول حرف الجر (الباء) عليه ، إذ مع الفعل (استبدل) تدخل (الباء) على المتروك[٤] ، وهذان الشيئان (المأخوذ) و(المتروك) بينهما شبه مقابلة ، بين (أدنى) و (خير) ، فـ(خير) إمّا أن يكون اسماً لكل ما يُرغب فيه كالعقل والشيء النافع ، وإمّا أن يكون وصفاً وتقديره (أفعل منه)[٥]، أي : (أخير) وقد حُذِفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال فصار (خير)[٦] ، ولفظ (خير) في الآية الكريمة من النوع الثاني ، بمعنى أنه وصف بمعنى (أفعل) التفضيل يقابل لفظ (أدنى) الذي رجح كون (خير) بمعنى (أفعل) ، و(خير) رجّح كون (أدنى) بوزن (أفعل) التفضيل بمعنى الأخس ، فهو ((أقرب منزلة

(١) ينظر : التحرير والتنوير :٢٧/ ٩٨
(٢) ينظر : معاني القرآن واعرابه ، الزجاج :٥/٧١
(٣) ينظر: المفردات :١١١
(٤) ينظر : البحر المحيط : ١/٣٧٧ ، ومعجم الصواب اللغوي ، د.احمد مختار العمر:١/١٠٧
(٥) ينظر : المفردات:٣٠١
(٦) ينظر :التصريح على التوضيح ، خالد الازهري :٢/٩٢

وأدون قدراً ، وأصل (الدنو) القرب في المكان ، فاستعير للخسة كما استعير (البعد) للشرف والرفعة ، فقيل :بعيد المحل ، بعيد الهمة))[١] ، فهو إمّا مأخوذ من (الدنو) أي القرب في القيمة ، من قولهم : ثوب مقارب، أي قليل الثمن ، أو هو مأخوذ من الدناءة بمعنى الأخس ، وقد خُففتْ همزته ، وقيل : مأخوذ من (الدون) أي: (الأحط) فأصله (أدون) بوزن (أفعل) ثم حصل فيه قلب مكاني فصار (أدنو) بوزن (أفلع) ثم قلبت الواو ألفاً لتطرفها فصار (أدنى)[٢]، فالسياق الذي ورد فيه لفظ (أدنى) ومجاورته للألفاظ الواردة في التركيب كل ذلك رجح كون (أدنى) موزون (أفعل) بمعنى (الأخس) والأقل رتبة من الذي يقابله وهو (الذي هو خير) بمعنى (أرفع) و(أجل)[٣]، وكذلك الاستفهام الانكاري الذي صدرت به الجملة الفعلية التي تضمنت هذين اللفظين (الذي هو أدنى) و (الذي هو خير) ، إذ فيه إنكار على تركهم الأفضل ، وأخذهم المفضول وهو منافٍ لما يقتضيه العقل والطبع السليم.

•الموضع الثاني قوله تعالى : (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ){الاعراف-١٦٩} ، وردت هذه الآية الكريمة في سياق الإخبار عن اليهود ، وهي تفريع عن جميع القصص المتقدمة التي هي قصص أسلافهم ، فيكون المراد بـ(الخلف) من نشأ من ذرية أولئك اليهود بعد زوال الأمة وتفرقها ، منهم الذين كانوا في المدينة عند ظهور الإسلام ، وقد وصفهم القرآن بانهم (ورثوا الكتاب) ليدلَّ على أنهم يفعلون ما يفعلون عن علم لا عن جهل ، وذلك أشدُّ مذمة[٤] ، وجملة (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) حال من الضمير في (ورثوا)[٥]، وقيل استئناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم إياه[٦] ، والفاعل الضمير (الواو) الدال عليهم ، والمفعول قوله: (عَرَضَ) وهو مضاف إلى اسم الإشارة (هذا) ، ولفظ (الأدنى) بدل منه أو عطف بيان[٧] ، والمراد بـ(عَرَضَ) متاع الدنيا قلّ أو كثر ، وقد سمي عرضاً لأنه عارض زائل[٨] والإشارة بـ(هذا) للتحقير والتخسيس ، وهو مرجح لكون لفظ (الأدنى) من (الدناءة) إذ كانوا يأخذون الرِّشا في

(١) ينظر : أنوار التنزيل ، البيضاوي:٨٤/١
(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: ٤٢٨/١
(٣) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التاويل ، النسفي :٩٣/١
(٤) ينظر : التحريروالتنوير:١٦٠/٩
(٥) ينظر : الجدول في إعراب القرآن :١١٧/٩
(٦) ينظر : روح المعاني:٩٠/٥
(٧) ينظر : الجدول في اعراب القرآن :١١٦/٩
(٨) ينظر : روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ، محمد علي الصابوني:٤٩٣/١

الأحكام على تحريف الكلام[١] ، وهم مع علمهم بأنها حرام إلا أنهم يُصرون على ذلك ويقولون سيُغفر لنا[٢] ، وقيل (الأدنى) من (الدنو) بمعنى القرب لأنه عاجل قريب في الدنيا ومن حطامها ، وهو مناسب للفظ (عرض) الذي معناه (زائل) ، والمعنى : أنهم يأخذون حطام الدنيا ، وهو الشيء التافه الخسيس الحقير ؛ لأن الدنيا بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها[٣] ، وأرى أن المعنيين مرادان ؛ لأنهما متقاربان ، إذ الدنيا بأسرها فانية حقيرة ، و(الدنو) قرب من المكان ، وكثيراً ما يستعمل القرب في الأمور المعنوية ، ويعبّر به عن دنو المنزلة ، كما أنّ بُعد المكان يُعبّر به عن بُعد المنزلة ورفعتها ، ونرى في استعمال لفظ (الأدنى) محتملا معنيين فيه توسيع للمساحة التعبيرية للآية الكريمة.

المبحث الثالث : دلالة اللفظ (أدنى) على (أقل) :

الموضع الأول قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) {المجادلة –٧} ، نزلت هذه الآية لتُعلم أن الله سبحانه عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وقد أكد ذلك بقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) أي ما من ثلاثة يُسارِرُ بعضهم بعضاً إلا كان الله معهم بالعلم أي يعلم نجواهم[٤] ، والمقصود من هذا الخبر هو الإنذار والوعيد ، وتخصيص العددين (ثلاثة) و(خمسة) بالذكر إما لخصوص الواقعة التي نزلت فيها الآية وهي لتناجي المنافقين ، وإما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين ، وقد جعل الحكم عاماً بعد ذلك فقال (ولا أدنى من ذلك) مما ذُكِرَ كالواحد والاثنين (ولا أكثر) ليشمل ما أكثر من (الخمسة) كالستة وما فوقها[٥] فالمراد بلفظ (أدنى) هو (أقل) لأنه ورد في مقابلة (أكثر) ، قال تعالى: (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) ، فحصل طباق بين لفظ (أدنى) و(أكثر)[٦]، و(الطباق) هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين على سبيل الحقيقة أو على سبيل

(١) ينظر : التفسير الكبير :٣٩٦/٥
(٢) ينظر :أنوار التنزيل:٣٠٥/٢
(٣) ينظر :السراج المنير ، الخطيب الشربيني :٥٣٢/١
(٤) ينظر : لباب التاويل : ٤٨/٧
(٥) ينظر : ارشاد العقل السليم : ٨/ ٢١٩
(٦) ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الزحيلي :٢٥/٢٨

المجاز[١]، فورود لفظ (أدنى) في مقابلة (أكثر) مرجح لكونه مراداً به (أقل) إذ إن (أكثر) يقابله (أقل) وهو من المعاني التي يحتملها (أدنى) مجرداً من السياق، ومع وروده في السياق يرجح بعض هذه المعاني أو أحدها وقد رجّح السياق في هذه الآية معنى (أقل).

•الموضع الثاني قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) {المزمل-٢٠} ،لقد كان قيام الليل فريضة فقام بها المؤمنون حولاً فأجهدهم ذلك وما كلهم قام بها فأنزل الله رخصة لهم في قوله: ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ...) فصار تطوعاً[٢] ، وقد ورد لفظ (أدنى) في هذه الآية ظرف زمان أي (وقتاً أدنى) ، وقوله : (مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ) جار ومجرور متعلقان بـ(أدنى)[٣] ، ولفظ (ثلثي) رجح كون (أدنى) بمعنى (أقل) ؛ إذ هو المناسب لسياق الآية والألفاظ المجاورة له (ثلثي الليل ، نصفه ، ثلثه) التي بعضها أقل مقداراً من بعض ، وتؤكد هذا قراءة من قرأ : (وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) بالنصب فهما حينئذٍ تفسير لـ(أدنى)[٤] ، والمعنى أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث[٥] ، ومن قرأ(وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) بالجر كان على تقدير: وأدنى من نصفِه وثلثِه[٦] ولكني وجدتُ الزمخشري يتمسك بدلالة (أدنى) على (أقرب) وتأويله بهذه الآية ، فقال : (أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ)أقل منهما ، وإنما استُعير (الأدنى) وهو (الأقرب) لـ(الأقل) لأن المسافة بين الشيئين إذا دنتْ قلَّ ما بينهما من الأحياز وإذا بعُدت كثُر ذلك))[٧] ، وفسّر بعضهم (أدنى) بـ(قريب) والمعنى : (أنك تقوم قريباً من ثلثي الليل) و (أفعل) التفضيل حينئذٍ معدول به عن (فعيل) وليس مراداً به التفضيل ، كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) {الروم -٢٧ } المراد (وهو هيّن عليه)[٨] ، وإنما استعمل لفظ

(١) ينظر : البلاغة العربية ، عبدالرحمن حبنكة ، ٣٨٠/٢

(٢) ينظر : تفسير السمرقندي :٥١٢/٣

(٣) ينظر : إعراب القرآن وبيانه:٢٦٩/١٠

(٤) ينظر :تفسير السمرقندي:٥١٢/٣

(٥) ينظر : التفسير الكبير :٦٩٤/٣

(٦) ينظر : روح المعاني :١١٠/٢٩

(٧) الكشاف : ٦٤٣/٤

(٨) ينظر : المقتضب ، المبرد :٢٤٥/٣

(أدنى) في هذا الموضع لأنّ كثرة العمل ممدوحة وقلته بخلاف ذلك ، و(الأدنى) مشترك بين (الأقرب) و(الأدون) للأنزل رتبة لأنّ كلاً منهما يلزم منه قلة المسافة[١] ، ولأن استعمال (أدنى) يُفهم هذه المعاني كلها ، ففيه زيادة المساحة التعبيرية للآية الكريمة فـ(أدنى من ثلثي الليل) أقل منه زماناً وأنزل منه رتبة وقريب من نصفه وثلثه.

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام ، والصلاة والسلام على سيد الأنام ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى آله وصحبه الكرام، بعد هذه الرحلة في رحاب آيات القرآن الكريم لفهم دلالات اللفظ (أدنى) في القرآن سجلنا النتائج الآتية:

١- ورد لفظ (أدنى) في اثني عشر موضعاً في القرآن الكريم ، جاء معرفاً بـ(أل) في موضعين اثنين، ومضافاً في موضع واحد ، ومجرداً من (ال) والإضافة في تسعة مواضع.

٢- أغلب التراكيب التي ورد فيها لفظ (أدنى) جاء فيها اللفظ خبراً لاسم الإشارة (ذلك) وكان ذلك في خمسة مواضع مشاراً به إلى ما تقدم من حكم ، ليكون تركيب (ذلك أدنى) كالتعليل للحكم المتقدم ، ويكون أقرب إليه.

٣- ورد لفظ (أدنى) مع ألفاظ تنتمي إلى حقل دلالي واحد ، فكانت هذه الألفاظ مرجحاتٍ لواحد من المعاني التي يدلّ عليها لفظ (أدنى) ومانعات لإرادة غيره ، كما في قوله (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) فلفظ (دنا) معناه اقترب ، و(قاب قوسين) كناية عن القرب.

٤- استعمل لفظ (أدنى) بمعنى (أقرب) يصعب الإتيان بها على أكمل وجه ، فتكون (أقرب) مع انحطاطها عن الوجه الأكمل كما في قوله (ذلك أدنى ألّا ترتابوا) وقوله (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها).

٥- ورد لفظ (أدنى) في مواضع قرآنية محتملاً أكثر من معنى ، وربما تكون هذه المعاني مرادة كلها ولا سيما أنّ السياق يحتملها ، وهذا مما يزيد المساحة التعبيرية للآية الكريمة وهذا من الأمور الشائعة في القرآن الكريم ، كما في قوله (غلبت الروم في أدنى الأرض) فإنه يحتمل (أقرب الأرض) و (أخفض الأرض) ، وقوله (يأخذون عرض هذا الأدنى) يحتمل لفظ (الأدنى) معنى (الأقرب) ومعنى (الدنيء).

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي: ٢١٦/٨

المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، (د.ت) ، (د.ط)
٢- إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين الدين الدرويش (ت١٩٨٢هـ) ، دار اليمامة –دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط٩/١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ / ١٤١٨ هـ
٤- بحر العلوم الشهير بـ(تفسير السمرقندي) : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) ، تحقيق: د.محمود مطرجي ، دار الفكر – بيروت ، (د.ط)/(د.ت).
٥- البحر المحيط : أثير الدين أبو عبد الله بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان(٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، وشارك في التحقيق : الدكتور زكريا عبد المجيد المنوتي ، الدكتور أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط٢/ ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م .
٦- بدائع الفوائد : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد ، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة ،ط١/ ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.
٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ، (د.ط)/ جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، جـ ٤ ، ٥: ١٤١٢هـ=١٩٩٢ م ، جـ ٦: ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
٨- البلاغة العالية في آية المداينة: د. سعيد جمعة ،(د.ط) /(د.ت)
٩- البلاغة العربية : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ). دار القلم- دمشق ، الدار الشامية–بيروت ، ط١/ ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.
١٠- التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) . الدار التونسية للنشر – تونس ،(د.ط)/١٩٨٤م.
١١- التصريح على التوضيح :خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأزهري(ت٩٠٥هـ) ، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان ط١/ ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م

١٢- تفسير ابن فورك: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، (ت ٤٠٦هـ) ، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش ، الناشر: جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية ، ط١/ ١٤٣٠ = ٢٠٠٩ م

١٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د.وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢ / ١٤١٨ هـ

١٤- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ). تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب –المملكة العربية السعودية – الرياض ، (د.ط) /١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.

١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بـ (تفسير الطبري) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، ضبط وتعليق : محمود شاكر ،تصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان ، ط١/ (د.ت)

١٦- جامع البيان في تفسير القرآن المشهور بـ(تفسير الايجي): محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت ٩٠٥هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١/١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م

١٧- الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ) ، دار الرشيد– دمشق – مؤسسة الإيمان– بيروت ، ط٤/ ١٤١٨ هـ

١٨- الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق: د.فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١/ ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

١٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين بن يوسف بن محمد الشهير بـ(السمين الحلبي) (ت٧٥٦هـ)، تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ود.جاد مخلوف جاد ود.زكريا عبد المجيد النوتي. دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان ، ط١/١٩٩٤م.

٢٠- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام : محمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي ، دمشق= مؤسسة مناهل العرفان – بيروت ، ط٣/ ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي(١٣٤٢هـ) ، تحقيق: محمود شكري الآلوسي البغدادي، دار احياء التراث العربي ، بيروت –لبنان ، (د.ط)/(د.ت)

٢٢- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ) ، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، ١٢٨٥ هـ

٢٣- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١/ ١٤١٧ هـ =١٩٩٧ م

٢٤- فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر- صَيدَا – بَيروت ، (د.ط)/ ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م

٢٥- الفواتح الالهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني ويعرف بالشيخ علوان (ت٩٢٠هـ) ، دار ركابي للنشر، الغورية- مصر ، ط١/ ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م

٢٦- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي- بيروت ، ط٣/١٤٠٧هـ.

٢٧- لباب التأويل في معاني التنزيل المشهور بـ (تفسير الخازن) : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن(ت٧٤١هـ) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١/١٤١٥ هـ

٢٨- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ / ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م.

٢٩- لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ط٣/١٤١٤هـ.

٣٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – لبنان ، ط١/١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

٣١- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية: خالد بن سليمان المزيني ، دار ابن الجوزي – الدمام –المملكة العربية السعودية ، ط١ / ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

٣٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ) ، تحقيق: يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب- بيروت ، ط١/١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م

٣٣- مشكل إعراب القرآن: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق : د.حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢/١٤٠٥هـ.

٣٤- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق: احمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار ، وعبدالفتاح إسماعيل الشلبي ، الدار المصرية للتاليف والترجمة – مصر ، ط١/ (د.ت).

٣٥- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت ، ط ١/ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨ م.

٣٦- معجم الصواب اللغوي: د.أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب- القاهرة ، ط١/١٤٢٩ هـ=٢٠٠٨

٣٧- مفاتيح الغيب المسمى بـ(التفسير الكبير): فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣/١٤٢٠هـ.

٣٨- مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم- الدار الشامية ، دمشق- بيروت ، ط١/١٤١٢هـ.

٣٩- مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس(٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون دار الفكر . بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٤٠- المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة . عالم الكتب – بيروت ، (د.ط)/(د.ت).

٤١- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز ومافيه من الفرائض والسنن: أبوعبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي (ت٢٢٤هـ) ، تحقيق: محمد بن صالح المديفر ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط٢/١٤١٨هـ =١٩٩٧م

٤٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، (د. ط)/ ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٤٣- الوجوه والنظائر : أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية –القاهرة ، ط١/١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٤٤- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: سلوى محمد العوا ، دار الشروق –القاهرة ، ط١ / ١٤١٩ هـ= ١٩٩٨م.